الحافظ ابن الصلاح

أعلام الحديث

الحافظ المحدث ابن الصلاح

يُعد الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله (ت 643) واحدًا من أئمة الإسلام العظام الذين كان لهم باع كبير في خدمة الإسلام والمسلمين؛ لا سيما في علوم مصطلح الحديث؛ فكل من أتى بعده قد استفاد من مقدمته في المصطلح إما بالإضافة أو الشرح أو الاختصار أو النظم [1].

هو الإمام الحافظ المفتي شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمرو عثمان ابن المفتي عبد الرحمن صلاح الدين بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الشافعي أحد أئمة المسلمين علما ودينا.

ولد سنة 557 هـ في شرخان قرية قريبة من شهرزور التابع لإربل شمالي العراق فنسب إليها لكن اشتهرت نسبته إلى شهرزور. وكان والده عبد الرحمن يلقب صلاح الدين فنسب إليه وعرف بابن الصلاح.

ونشأ في بيت علم ورئاسة فكان أبوه صلاح الدين من العلماء الأجلاء فقيها متبحرا في فقه الإمام الشافعي تولى الإفتاء وعرف بالعلم والنبل والفضل.

(1) له ترجمة في الكتب الآتية: - وفيات الأعيان 3/ 243- 244. - تذكرة الحفاظ / 1430- 1431. - طبقات الشافعية للسبكي 8/ 326. - شذرات الذهب 5/ 221- 222. الأعلام للزركلي 4/ 369. - معجم المؤلفين 6/ 257.

في عهد الملوك الأيوبيين عاش ابن الصلاح، وهو عهد لقي من الملوك والأمراء تشجيعا على العلم بإنشاء المدارس والمكتبات ورصد الأوقاف على المؤسسات العلمية وعلى طلاب العلم والعلماء كما أنها تهيئ للعلماء الجو وتفسح أمامهم المجال ليتبوؤوا أرقى المناصب فتنافس العلماء في تحصيل العلوم، في هذا الوسط عاش ابن الصلاح فشمر عن ساعد الجد لا يألوا جهدا في تحصيل العلوم.

ولقي عناية فائقة وتشجيعا من أبيه الفاضل العالم يعلمه ويربيه ويوجهه ويدفعه لأن يرتحل في طلب العلم بعد أن درس عليه المهذب مرتين. أرسله في ريعان شبابه إلى الموصل فحصل العلوم بأنواعها الفقه والحديث والتفسير والأصول.

ثم واصل رحلته العلمية إلى بلدان العالم الإسلامي فارتحل إلى بغداد فسمع من أبي أحمد بن سكينة وعمر بن طبرزد، وإلى همذان ونيسابور ومرو فتلقى من العلوم الكثير خاصة علوم الحديث على أيدي كثير من العلماء ثم رجع أدراجه إلى البلاد العربية حلب وحران ودمشق فأخذ عن علمائها ما يروي ظمأه ويصل به إلى مرحلة التكامل والنضج وما يبلغ درجة الأستاذ العالم الموجه.

وانتهى به المطاف إلى أن استقر في بلاد الشام مع أبيه وأسرته ويستقبل عهدا جديدا؛ عهد المسؤولية ونشر العلم فتولى التدريس بالمدرسة الأسدية (نسبة إلى أسد الدين شيركوه) بحلب ودرس بالمدرسة الناصرية (نسبة إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب) بالقدس وأقام بها مدة. واشتغل عليه الناس وانتفعوا به.

ثم انتقل إلى دمشق وتولى التدريس بالمدرسة الرواحية التي أنشأها أبو القاسم هبة الله بن عبد الواحد بن رواحة الحموي.

ولما بنى الملك الأشرف ابن الملك العادل بن أيوب دار الحديث بدمشق فوض تدريسها إليه.

ثم تولى التدريس بمدرسة ست الشام زمرد خاتون بنت أيوب فكان يقوم بوظائفه في هذه المدارس من غير إخلال أو تقصير.

شيوخه:

رأينا أن الإمام ابن الصلاح قام برحلات واسعة ولم تنص المصادر التي وقفت عليها إلا على عدد يسير من شيوخه فمنهم:

1- والده صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري أخذ عليه المهذب مرتين. توفي صلاح الدين سنة 618هـ.

2- ومنهم عماد الدين أبو حامد ابن يونس الفقيه الأصولي (ت 608هـ).

3- ومنهم عبيد الله السمين. 4- ونصر الله بن سلامة.

5- ومحمد بن علي الموصلي. 6- وعبد المحسن بن الطوسي.

7- وأبو أحمد عبد الوهاب بن عبد الله البغدادي كان حجة علما فقيها محدثا ت607هـ.

8- وأبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني4 (ت 618 هـ).

9- ومنهم أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (ت 620).

تلاميذه:

1- فخر الدين عمر الكرخي. 2- ومجد الدين ابن المهتار.

3- والشيخ تاج الدين عبد الرحمن.

4- وزين الدين أبو محمد عبد الله بن مروان الفارقي ت 703هـ.

5- والقاضي شهاب الدين الجوري.

6- والخطيب شرف الدين الفراوي.

7- والشهاب محمد بن شرف الدين.

8- والصدر محمد بن حسن الأرموي.

مزاياه وثناء العلماء عليه:

قال الذهبي: " كان سلفيا حسن الاعتقاد كافا عن تأويل المتكلمين مؤمنا بما ثبت من النصوص غير خائض ولا متعمق. وكان وافر الجلالة حسن البزة كثير الهيبة موقرا عند السلطان والأمراء تفقه به الأئمة ".

وقال ابن خلكان: " وكان من العلم والدين على قدم حسن. ولم يزل أمره جاريا على سداد وصلاح حال واجتهاد في الاشتغال والنفع ".

وقال السخاوي: " وكان إماما بارعا حجة متبحرا في العلوم الدينية بصيرا بالمذهب ووجوهه خبيرا بأصوله عارفا بالمذاهب جيد المادة في اللغة العربية حافظا للحديث متفننا حسن الضبط وافر الحرمة عديم النظير في زمانه مع الدين والعبادة والنسك والصيانة والورع والتقوى. انتفع به خلق وعولوا على تصانيفه ".

وفاته:

توفي رحمه الله في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وستمائة بدمشق وكثر التأسف لفقده وحمل نعشه على الرؤوس وكان على جنازته هيبة وخشوع ودفن بمقابر الصوفية رحمه الله وغفر له.

مؤلفاته:

له رحمه الله مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم استفاد منها العلماء بعده فكانت من أهم مراجعهم ومصادرهم التي يعتمدون عليها.

فمنها:

1- أدب المفتي والمستفتي. 2- الأمالي. مخطوط.

3- شرح الوسيط في الفقه الشافعي، أبدى فيه انتقادات علمية واجتهادات فقهية دقيقة.

4- صلة الناسك في صفة المناسك. جمع فيه جملة من المسائل النافعة التي يحتاج إليها الناس في مناسك الحج. مخطوط.

5- طبقات الشافعية.

6- علوم الحديث. أجمع الكتب في هذا الفن، ولقي حظا كبيرا من العلماء.

7- الفتاوى. جمعه بعض أصحابه وطبع في مجلد فيه له اجتهادات.

8- فوائد الرحلة. كتاب ممتع جمع فيه فوائد في علوم متنوعة قيدها في رحلته إلى خراسان. مخطوط.

9- مشكل الوسيط. في مجلد كبير.

10- المؤتلف والمختلف في أسماء الرجال.

11- النكت على المهذب.

هذا من آثاره النافعة تغمده الله برحمته [1].

* * *

(1) انظر مقدمة كتاب شرح التبصرة والتذكرة، للحافظ العراقي، من تحقيق د. ماهر ياسين الفحل. مقدمة كتاب النكت على كتاب ابن الصلاح لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني من تحقيق ربيع بن هادي عمير المدخلي، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.